"كل ما كان له"
(متى ١٣:٤٤-٤٦)

تأليف: دڤيد روپر

معظمنا نحن المبشرون لنا القدرة لأخذ حقيقة صغيرة وتحويلها إلى موعظة طويلة. من ناحية اخرى، كان يمكن ليسوع ان يأخذ حقائق هائلة و يضغطها الى حجم صغير وقصير وإلى عبارات قوية.

في هذا الدرس، سندرس اثنين من العبارات القوية القصيرة ليسوع - مثالين توجد في ثلاثة آيات فقط:

> أيضاً يشبه ملكوت السموات كنزاً مخفي في حقل وجده إنسان فأخفاه ومن فرحه مضى و باع كل ما كان له وأشترى ذلك الحقل.
> أيضاً يشبه ملكوت السموات إنساناً تاجر يطلب لآليء حسنة، فلما وجد لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن، مضى وباع كل ما كان له واشتراها (متى ١٣: ٤٤-٤٦).

قيمة الملكوت

مثل الكنز المخفى

يبدأ انجيل متى ١٣: ٤٤ بكلمات: "أيضاً يشبه ملكوت السموات كنزاً مخفي في حقل." قد نتعجب من فكرة اخفاء الكنز في الحقل، ولكن ربما قد اومأ سامعو يسوع برؤسهم. في تلك الايام، اذا وضع احد مالاً او اي شيء ثمين في المصارف، فان الوديعة ستكون هناك او لا عندما يريد ان يأخذها. لذلك كان كثيرون يحافظون على كنوزهم بدفنها في الارض (كما فعل الانسان الذي اخذ الوزنةالواحدة في انجيل متى ٢٥: ١٨).

لم يكن هناك سبب آخر جعل البعض يحفظون كنوزهم في الارض. كانت تلك المنطقة معرضة للغزو في اي وقت. كانت فلسطين تقع بين مصر و ارض ما بين النهرين. فيما مضى، عبر جنود الاحتلال هذه الأرض عدة مرات. ليست هناك قطعة ارض دارت عليها معارك اكثر من فلسطين. كان كثير من الاغنياء يستعدون للاحتلال بتقسيم ثروتهم الى ثلاث اقسام. استخدموا الثلث الأول كرأسمال للاعمال. والثلث الثاني قسموه الى جواهر و بعض البضائع التي تسهل حملها والهروب بها إذا ما تعرضوا للغزو. تلك ما خطفوها و هربوا بها من المحتلين. واما الثلث الاخير فكانوا يدفنوه في الارض، و هذا يكون رأسمال تجارتهم عندما يعودوا بعد انتهاءالحرب. و لكن في بعض الحالات قد لا يعودوا. هكذا كانت الكنوز مخبئة في كل ارض فلسطين.

مثال يسوع هو عن الكنز المخفي. تفتننا فكرة اخفاء الكنز. كل جزء من العالم له اساطير عن كنز مخفي - كنوز القراصنة او كنوز على سفن غرقت او مناجم ذهب مفقودة. اقتنع اثنين من الرجال اخيراً في مدينة واكو بولاية تكساس الامريكية ان جاسي جيمس قد دفن خزانة مليئة بالمال واشياء اخرى ثمينة في منطقتهم. اظهرتهما محطة تلفزيونية وهما يشرفان على سائق بولدوزر و يدلوه اين يحفر. آخر ما سمعته انهما قد انفقا ... ، ١٤٠ دولاراً في مشروعهما هذا، و كل ما استطاعوا أن يحصلوا عليه كان عبارة عن حفرة كبيرة.

و لكن، مثال يسوع لم يكن عن كنز دفين؛

بل عن الكنز الدفين الذي وجد: "... وجده إنسان فأخفاه؛ و من فرحه، مضى و باع كل ما كان له و اشترى ذلك الحقل" (آية ٤٤).

قد نعتقد بان هذا الانسان كان فقيراً. لم يملك الحقل الذي كان يعمل به. كان هو عامل عادي، ربما كان عبداً لصاحب الحقل. ربما كان المشهد كالآتي: حرك الانسان بطيئاً، يحفر في الحقل او يحرث. لا ملامح رجاء على وجهه. كان اليوم كالأمس، و سيكون الغد كاليوم. كانت حياته دائرة عمل شاق، نوم بلا حلم، عمل شاق، نوم بلا حلم. و لكن، اليوم عندما كانت آلته اليدوية تحفر في الارض، كان هناك "أصطدام!" ربما "تكون صخرة"، هكذا ظن، يتوقع منه سيده ان يخرج كل الحجار خارج الحقل، فتأوه قليلاً – ثم جثا على ركبتيه و بدأ يحفر في التراب بأصابعه. و لكن، هذا الشيء الذي في الارض لم يحسه كصخرة. كان مستطيلاً في الشكل. و بدأت ضربات قلبه تتزايد حينما مسح التراب عن غطاء الصندوق. وعندما فتح الصندوق، وجده مليء بعملات معدنية و جواهر، كنز لا يستطيع تصوره!

نظر حوله. ليس احد بالقرب. اغلق الصندوق و ملأ الحفرة سريعاً، واخذته الحيرة، "ماذا أفعل؟" ثم صاح: "اني اعلم ما أفعل!"

اسرع الى البيت تاركاً ورائه آلته اليدوية، و أخذ يجمع كل ما كان يمكن ان يبيعه. دخلت زوجته الى الغرفة حيث كان، كانت ترتدي اثمن الاشياء التي يملكها الزوجان: قلادة تركتها لزوجته والدتها. خطف القلادة من رقبتها. فقالت زوجته، ثم صرخت، "ماذا تفعل؟ هل اصابك جنون؟"

"أبتسم أبتسامة عريضة وقال أنا ذاهب لأبيعها!"

"تبيعها! هذه هي الجوهرة الوحيدة التي املكها!"

وعندما كان في طريقه الى الخارج، التفت ورائه و ألقى هذه الكلمات: يا إمرأة ستتغطين بالجواهر قريباً!

"طبعاً يا سيد". قالت هذه وهي تشير الى ثوبها الرث. "وسا بدو رائعة بفستاني الجميل."

انه لم يسمع كلماتها الساخرة. نزل إلى الطريق ومضى، الجوهرة بيده، و اذ هو يرنم اخذ غنمه و حماره، الذي كان محمل بالبضائع. و سريعاً باع كل ما كان له. وعندما اشترى الحقل اخيراً، ابتهج قائلاً: "الان انها لي؛ انها لي حقاً!"

ارجو ان لا تخوض في الأسلوب الادبي والقانوني والنواحي والمظهرالإخلاقي لهذه القصة. فاننا لا نعلم ما اذا كان ما فعله الانسان صحيحاً ام لا. يظن البعض انه على حسب شريعة الاحبار له الحق الشرعي للكنز الذي وجده و بانه اشتري الحقل ليأمن ان لا احد سيعارض حقه. اذا كان الامر هكذا ام لا فهذا ذو اهمية قليلة عند اعتبار مغزى المثل. كقاعدة ثابتة، لكل مثال ليسوع يعلم حقيقة واحدة رئسية. ليس علينا ان نطبق كل التفاصيل، بل نبحث عن الفكرة الرئسية التي اراد يسوع ان يجذب انتباهنا إليها.

انظر مرة اخرى الى الآية الوحيدة التي تحتوي على هذا المثال، و سترى ان التشديد ليس على الانسان، بل على الكنز. "... يشبه ملكوت السماوات كنزاً..." – اجمل كنز و اثمن واغلى ما يمكن ان نتصوره!

مثل الؤلؤة الكثيرة الثمن

تبدأ الآية ٤٥: "أيضاً". مفهوم الملكوت عميق جداً بحيث لا يمكن ان يحتوي كل مفهومه في مثل واحد، لهذا اعطى يسوع مثل آخر. "... يشبه ملكوت السموات انساناً تاجراً" (آية ٤٥). في المثل السابق، كان التشديد على الكنز. في هذا المثل التشديد على الانسان.

كان الانسان "... يطلب لآليء حسنة" (آية ٤٥). في المثال السابق عثر الانسان على الكنز. لم يكن يبحث عنه؛ كان يعمل عمله العادي وبالصدفة وجده ؛ في هذا المثال، كان الانسان يبحث. هكذا ايضاً هناك من يعثرون على الحقيقة، يدركونها ويقبلونها بسرور.

الاصحاح الثالث و الرابع من انجيل يوحنا يوضح هذا التباين. في الاصحاح ٣ أتى نيقوديموس الى يسوع بحثاً عن إجابات فوجد

المسيا. في الاصحاح ٤ جاءت إمرأة سامرية لتستقي ماء فعثرت على الحقيقة عن المسيح. يعطي الاصحاح الثامن والتاسع من اعمال الرسل ايضاحاً آخر. في الاصحاح ٨ من اعمال الرسل كان انسان اثيوبي رفيع المستوى على سفر يقرأ كتابه المقدس، بحثاً عن اجابات. في الاصحاح ٩ من اعمال الرسل كان شاول يجول في كل مكان، يطلب هلاك كل مسيحي على الارض. في نهاية رحلتهما، علم كل منهما الحقيقة عن يسوع المسيح.

لماذا تحضر خدمات الصلاة؟ هل تبحث عن الحقيقة؟ أتريد ان تجد غاية الحياة؟ أتريد ان تجد ما يزيد من قيمة حياتك؟ هل تذهب من اجل ان تقضي الأبدية مع الهك؟ او تذهب لسبب لا قيمة له؟ ما يدفعك ليس هو الاهم. الاكثر اهمية هي مقدرتك لتدري قيمة الكنز حينما تراه – و ما اذا كانت لك رغبة شديدة لتملك الكنز حالما تدركه.

فلنستمر بقصتنا: كان الانسان يبحث عن "لآليءحسنة". يعتبر اللآليء جواهر ثمينة اليوم. بل و في زمان الكتاب المقدس كانت تعتبر أثمن. لم يرغب الناس بامتلاكها والنظر اليها فقط، بل كانوا يرغبون ان يتداولونها ويداعبونها. و ان يشعروا بروعتها وينظروا في اعماقها اللبني. كانت اللآليء فاتنة لاكثرالذين يؤمنون بالأساطير. كان يعتبر التاجر الذي يلبس اللآليء الحسنة انساناً مهماً وبضائعه لا نظير لها.

من بين الكنوز، توجد لآلي فريدة من نوعها. تكونت معظم الأحجار الكريمة في باطن الارض بالحرارة و الضغط لآلاف السنين، ولكن اللآليء تتكون كما تقرأ هذه السطور. حبة رمل تدخل في صدفة المحار. يهيج الرمل المحار، فيفرز سائل لبني كثيف الذي يغلف الحبة بغشاء رقيق. فتشعر المحار بارتياح حتى تغلظ الشريحة. ثم يغلف الحبة الصغيرة بسائل مرة اخرى. هكذا، تستمر العملية حتى تتكون لؤلؤة. يقال بان اللؤلؤ هو الجوهر الوحيد الذي يتكون من خلال المعاناة. كانت اللآلي تأتي في تلك الايام من اماكن قليلة على الارض: من اماكن مختارة من البحر الابيض المتوسط، ومن البحر الاحمر، ومن الخليج العربي، و من بريطانية.

كان هذا الانسان يبحث عن اللآليء، ليس فقط اي لآليء. بل يبحث عن "لآليء حسنة". كان يبحث عن الافضل من الكل. تتكون اللآليء بطريقة ما عشوائية، يحدث تغيير كثير. احياناً يكون اللؤلؤ غير دائري تماماً. واحياناً يكون اللؤلؤ صغير جداً. و احياناً اخرى يكون اللون غير متماثل. و لكن، هناك تصور عقلي في ذهن تاجر اللآلي، له صورة شيء لم يتوقع ابداً ان يجده، و الذي به كان يقارن كل اللآليء: صورة اللؤلؤ النقي. من خلال تعامله بالاف اللآلي، اصبحت عينيه و يديه خبيرتان في تمييز اللآليء الثمينة.

في احد الايام حدث شيء غريب، انها صدفة قد تحدث مرة واحدة في ألاف السنين؛ فقد وجد ما بتصوره، اللؤلؤة النقية، عندما وجد هذه اللؤلؤة النقية، لم يتردد او يشارط على الثمن. وانما "... مضى و باع كل ما كان له و اشتراها" (آية ٤٦).

في هذا المثال كما في ما قبله، وبغض النظر عن التفاصيل. في المثل الاول، حصل الانسان على الكثير بدفع القليل. في هذا المثل، دفع الانسان كل الثمن. ولكن دفع المال بغض نظر عن ما اذا كان قليلاً او كثيراً، ليس ذو اهمية في اي من المثالين. لا يمكن للانسان ان يشتري الخلاص؛ كان ينبغي ان يشترى بدم يسوع المسيح. لا يمكنك و لا يمكنني ايضاً ان نشتري او نكسب او نستحق البركات الروحية. اذاً، ما هو الدرس الذي يريد منا يسوع ان نستوعبه من مثل اللؤلؤة الكثيرة الثمن؟ وجد الانسان كنزاً رائعاً و شاء ان يعطي كل ما كان له لكي يمتلكه!

اذا قصدنا ان نأتي بخلاصة لهذين المثالين، لفعلناه كالآتي: ملكوت السموات هو الاكثر ثمناً و الاكثر غلاء والسلعة الأكثر اشتياقاً لها في العالم!

هوية الملكوت

ما هو "ملكوت السماء" الذي بهذه القيمة

الغالية؟

قد تكون اولى افكارنا هي ان السماء ذاتها التي يتحدث عنها، مادام العبارة هي "ملكوت السماء". احياناً يطلق الصيغة "ملكوت" لتشير الى سماء، ولكن ليس في هذا النص. عندما دون البشيرين مرقس و لوقا هذه الامثلة الاساسية نفسها، استخدما الصيغة "ملكوت الله" (مرقس ٤: ١١ ، ٢٦ ، ٣٠؛ لوقا ٨: ١٠). فلنعيد صيغة السؤال: "ما هو ملكوت الله" الذي بهذه القيمة الغالية؟

توجد عبارة "ملكوت الله" في كل الكتاب المقدس، لتشير عادة الى سيادة الله على عالمه. في الكتاب المقدس، يشير هذا احياناً الى كل الدنيا او حتى الكون كله، لان الله يسيطر على كل شيء. و لكن، عادة ما تستخدم الصيغة لتشير الى حكم الله الخاص في القلوب و في حياة شعبه – الذين اسلموا نفوسهم لسلطانه. في العهد القديم، كانت هذه مملكة اسرائيل، لانه بجبل سيناء قطع الاسرائيليون عهداً مع الله.

و عندما ندرس العهد القديم، نجد ان الاسرائيليين كانوا ينتظرون المملكة الخاصة التي ستتم تأسيسها (دان ٢: ٤٤)، و سيملك عليها ملك يعرف بـ"مسيا" (دان ٩: ٢٥ و٢٦). تعني الكلمة "مسيا": "الممسوح" او "المرسوم {لمنصب ما}". كان يعرف ملوك اسرائيل بـ"مسيحي الرب" (١صموئيل ٢٤: ١٠؛ ٢٦: ٩). كان هناك مفهوم جوهري في العهد القديم ان المسيا آتي ليأسس مملكته.

كان يسوع هو المسيا المنتظر. الصيغة اليونانية لكلمة "مسيا" هي "مسيح". لما أتى يسوع المسيح كانت رسالته هي "توبوا لانه قد اقترب ملكوت السماوات" (متى ٤: ١٧). اي بعبارة اخرى، "قد أتى الزمان لاتمام كل عهود العهد القديم و النبؤات المختصة بالملكوت". عندما كان يسوع يتكلم عن الملكوت، أكد قائلاً "مملكتي ليست من هذا العالم" (يوحنا ١٨: ٣٦). كان ملكه هو ملك روحي.

قبل موته، قال يسوع لتلاميذه بانهم سيرون "ملكوت الله" قد أتى "بقوة" (مرقس ٩: ١). بعد موته ودفنه و قيامته، قال للرسل ان يمكثوا في مدينة اورشليم الى ان يلبسوا قوة من الآعالي (لوقا ٢٤: ٤٩). قبل صعوده بقليل قال لهم "لكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم" (اعمال ١: ٨). بعد ايام قليلة، في يوم عيد الخمسين اليهودي، حل الروح القدس عليهم (اعمال ٢: ١–٤). حينما حل الروح القدس، اتت القوة. المملكة المنتظرة لقرون قد اسست اخيراً في اول يوم الخمسين بعد موت ودفن و قيامة المسيح منذ ذلك الزمان كان المملكة المعنية في الوجود (كولوسي ١: ١٣).

بعد الاصحاح الثاني من اعمال الرسل، اصبح مصطلح آخر اكثر استعمالاً لهذه المؤسسة: مصطلح "كنيسة". هناك ترنيمة انجليزية بعنوان: "احب ملكوتك، يا رب" (I Love Thy Kingdom, Lord). تبدأ الفقرة الاولى بها كالآتى:

احب ملكوتك يا رب،
I love Thy kingdom, Lord,
البيت الذي تسكنه؛
The house of Thine abode;
الكنيسة التي خلصها فادينا المبارك
The church our blest Redeemer saved
بدمه الغالي،
With His own Precious blood,
احب كنيستك، يا الله!
I love Thy church, O God!

في كل العهد الجديد، يشار الى الكنيسة بملكوت الله الخاصة اليوم. الكنيسة هي دنيا خاصة يحكمها الله اليوم، الشعب الذي خضع لسلطانه.

تستخدم الصيغتان "كنيسة" و "ملكوت" عادة تبادلياً في العهد الجديد. على سبيل المثال، في (يوحنا ٣: ٣ ، ٥) قال يسوع ان احد يدخل الملكوت بالولادة من الماء و الروح. و لكن في سفر اعمال الرسل و رسائل بولس الرسول، نرى ان الناس كانوا ينضمون الى الكنيسة حينما يعتمدوا في الماء كما علمه

الرجال الموحى إليهم (اعمال ٢: ٣٨ ، ٤١ ، ٤٧؛ ١ كو ١٢: ١٣) في انجيل متى و الاصحاح ١٦ قال يسوع مرة اخرى عن بناء "كنيسته" (آية ١٨)، ثم اشار الى ذلك الذي سيبنيه بـ"الملكوت" (آية ١٩). بالإضافة على ذلك، عندما اسس يسوع العشاءالرباني، قال لا يأكل بعد حتى يأتي "ملكوت الله" (لوقا ٢٢: ١٦ ، ١٨). وفي سفر أعمال الرسل و الرسائل، نجد ان الكنيسة تناولت العشاءالرباني (اعمال ٢٠: ٧؛ ١ كو ١١: ١٧-٣٤).

السؤال هو "هل انا مستعد لاي تضحية لكي امتلك ملكوت الله؟"

يمكننا اذاً ان نعيد صيغة الخلاصة للمثالين في انجيل متى الاصحاح ١٣ ليقرأ: "الكنيسة هي الاكثر قيمة و الاكثر غلاء و السلعة الاكثر احتياج اليها في العالم!"

ربما اسمع اعتراض مباشر: "انتظر لحظة! قد رأيت جماعة المتعبدين حيث تبشر انت و لم يبدوا لي بكل تلك القيمة!" ليس مهما ما يبدوا، فانهم كذلك. هذا ليس لي ان اقيمه، بل لله وحده. انه كلف دم المسيح ليقتنيهم (اعمال ٢٠: ٢٨).

لربما يساعدنا لو وضعنا هذه في تعبير آخر. عندما استخدم المصطلح "كنيسة"، لا اشير الى اي مؤسسة من صنع الانسان، بل الى الكنيسة التي نقرأ عنها في كتاب العهد الجديد. هذه الكنيسة لا يمكن انفصالها عن مفاهيم اخرى للكتاب المقدس.

على سبيل المثال، لا يمكن فصل الكنيسة عن يسوع المسيح. يسوع هو رأس الكنيسة، و الكنيسة هي جسده (افسس ١: ٢٢ و٢٣). الكنيسة هي "ملء المسيح" (افسس ١: ٢٣). يسوع و كنيسته متوحدان بحيث عندما اضطهد شاول الكنيسة (اعمال ٨: ٣)، سأل يسوع "لماذا تضطهدني؟" (اعمال ٩: ٤؛). اذاً، عندما نتحدث عن الكنيسة، نشمل يسوع المسيح – و ينبغي على الجميع ان يتفقوا بانه هو الاثمن و الاغلى والاكثر احتياجاً اليه في العالم!

لا يمكن فصل الكنيسة عن الخلاص. يسوع "بذل نفسه" على الصليب من اجل الكنيسة (افسس ٥: ٢٥). انه اقتنى الكنيسة بدم "نفسه" (اعمال ٢٠: ٢٨). هو "مخلص" الكنيسة (افسس ١: ٢٢ ، ٢٣؛ ٥: ٢٣). عندما يطيعه الناس، و يخلصوا بنعمته، يضمهم الله الى الكنيسة (اعمال ٢: ٣٨ ، ٤١ ، ٤٧). الكنيسة هي مجموعة من الناس نالوا الخلاص بدم يسوع المسيح. اكيد ان الجميع سيوافقون على ان الخلاص من خطايا سالفة و رجاء في السماء هو الاثمن و الاغلى و الشيءالاكثر احتياجاً اليه في العالم!

بالاضافة الى ذلك، لا يمكن انفصال الكنيسة عن الله او عن عرشه، لان الصيغة التي استخدمها يسوع في هذين المثالين هي "ملكوت السماوات" و "ملكوت الله". اي بعبارة اخرى، عندما نتحدث عن "الكنز المخفي" او "اللؤلؤة الكثيرة الثمن"، فاننا نتكلم عن كنوز روحية: الحق، يسوع المسيح، الخلاص، العشرة مع الذين نالوا الخلاص بدم المسيح (تسمى "الكنيسة")، علاقة مع الله، رجاء في السماء. ولا يمكن ان نفصل هذه المسميات عن تعاليم العهد الجديد عن الكنيسة، او ملكوت. هذه الحقائق الروحية هي الاكثر قيمة والاكثر غلاء والاشياء الاكثر رغبة اليها في هذا العالم!

لا يتفق العالم على ذلك. اذا سئل اهل العالم ما هي الاشياء التي يعتبرونها الاكثر قيمة، لاجابوا، "شهرة" إذ ان رجال و نساء قد دخلوا في "عالم الشهرة". او يقول الكثير "هذا هو اهم ايام حياتي، الاحداث الاهم في السنين التي عشتها!" لاجاب آخرين بان الغنى و السلطة هما اهم شيئين في هذه الحياة.

من الصعب ان لا تشارك العالم في تقيمه للأشياء. تخيل غرفة واسعة. وفي احد جوانب هذه الغرفة ابواب كثيرة. و كتب على احد الابواب "شهرة"؛ و على باب اخر كتب "سلطة"؛

و ايضاً على آخر كتب "غنى" و آخر "سُمعة". في امام هذه الابوب صفوف طويلة من الناس، يزاحمون ويتدافعون بالمناكب بعضهم البعض، يريد الكل ان يصلوا الى مقدمة الصف. و على الجانب المقابل من الحائط، مخبئ في زاوية غامضة، تكاد ان لا تصله الانظار، باب ضيق كتب عليه "ملكوت السموات". امام ذلك الباب قليل من الناس تعد على اصبع اليد، سيكون من الصعب ان لا تنظر على الابواب الاخرى وعلى المزدحمون امامها دون ان تشك بانك تفقد شيء مهم.

لاحظ رسالة يسوع في هذين المثالين اللذين ندرسهما، وتعلمه جيداً: بغض النظر عن عدد الصفوف على ابواب النجاح الدنيوي، فالشيء الذي له قيمة حقاً هو ملكوت الله! في المثالين، امكن اثنين من الرجال ان يدركا الشيء الحقيقي ذو القيمة الغالية عندما رآه. لهذا كانا راضيين بدفع الثمن لامتلاكها.

قيمة الملكوت

علينا ان نسأل انفسنا هذا السؤال "ما اجمل و ما اغلى و ما اروع و ما اقيم ملكوت السموات؟" يقول لنا النص كيف نجيب على هذا السؤال. انظر مرة اخرى الى كلمات يسوع في انجيل متى ١٣: ٤٤-٤٦، و ضع خط تحت بضع كلمات وتأملها في عقلك:

> ايضاً يشبه ملكوت السموات كنزاً مخفي في حقل وجده انسان فأخفاه و من فرحه مضى و باع كل ما كان له و اشترى ذلك الحقل.
> ايضاً يشبه ملكوت السماوات إنساناً تاجراً يطلب لآلىء حسنة. فلما وجد لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن مضى و باع كل ما كان له و اشتراها.

نحن نظهر تقديرنا للأمور الروحية حسبما يتفق مع رغباتنا في التضحية لكي نمتلكها." قال يسوع، إن اراد احد ان يأتي ورائي فلينكر نفسه و يحمل صليبه و يتبعني" (متى ١٦: ٢٤). في بعض الحلات، كالرجلين في المثالين السابقين، ربما نريد ان نبيع حرفياً كل ما لنا لنتبع الطريق الذي وضعه الله امامنا (متى ١٩: ٢١). على كل حال، فان معظمنا يؤكد على ما هو مهم في حياتنا. يقول لنا يسوع اجمعين: "لكن اطلبوا اولاً ملكوت {الله} و بره" (متى ٦: ٣٣). قارن هذه مع يسوع والاشياء التي ليسوع (بما فيها الكنيسة)، الأشياءالتي في هذه الحياة هي بلا قيمة - وعندما تصطدم بالروحيات، عليها ان تطرح من حياتنا. لا بد ان يكون ملكوت الله الهدف في حياتنا.

السؤال هو: "هل انا مستعد لاي تضحية لكي املك ملكوت الله؟"

كان في وقت مضى رجلان قد عرفا البعض منذ صباهما. و بعد سنين طويلة تقابلا مرة اخرى. كان احدهما مسيحي متواضع يملك قليل من خيرات هذا الدنيا. و الآخر كان غنياً لسعيه وراء اشياءهذه الحياة. حينما تقابلا، وجدا ان لهما شيء مشترك : فقد كل منهما ابناً.

عندما تحدث الرجل الغني عن وفاة ابنه، كان من الواضح ان حياته و احلامه كانت حول ذلك الصبي. ترقرقت الدموع في عينيه وهو يقول، "تمنيت ان يواصل أبني تجارتي وأعمالي والآن لا أدري ما أفعل. فقد تبددت حياتي!"

و عندما تحدث المسيحي عن وفاة ابنه، قال، "قلبي منكسر، ولكن مع ان موته قد ألمني، فاني اعلم انه في مكان احسن. الان اني اعيش على رجاء الوقت الذي فيه يمكنني ان اذهب اليه و نكون معاً مرة اخرى."

قال الرجل الغني للمسيحي، "اود ان اعطي كل ما املك ليكون لي مثل ايمانك".

وأجاب المسيحي بصوت رقيق ذلك ما سيكلفك.

هل نحن راغبون ان "نبيع كل ما لنا" لكي نملك الكنز؟

سيرى كثيرون بان هذا ليس عادلاً؛ لا شيء اكثر عدالة من هذا. تخيل غرفة في معرض مليئة بكنوز العالم. دخل اربعة رجال في تلك الغرفة. احدهم انسان غني. واحداً فقير لا يملك شيء. والاثنين الآخرين متوسطي الحال اقتصادياً. احد هذين الرجلين يمثلك و يمثلني.

لتبسيط القصة، سأقول فقط بان الرجل يمثلني.

و عندما تمشينا خلال غرفة المعرض، خطف ابصارنا النظام والعرض الرائع. تفحصنا الاسعار من حين الى حين لنرى ما سنستطيع شرائه و ما لا نستطيع. كان بمستطاع الرجل الغني ان يشتري كل ما يشتهيه تقريباً؛ الرجل الفقير لم يكن له ما يشتري به؛ واما انا و الرجل الثالث يمكننا شراء اشياء قليلة، ولكن اكثر الاشياء تبدو لنا غالية الثمن ومكلفة.

و اخيراً اتينا الى وسط غرفة المعرض – و هناك، أمام اعيننا، كنزاً، و بدأت دقات قلوبنا تزداد سرعة؛ لقد خطف انظارنا. كلما تفرسنا اليه طويلاً كلما صارت الاشياء الاخرى بغرفة المعرض بلا قيمة. عندما راينا الكنز، كلنا نعلم باننا لا نكونوا سعداء إلا اذا امتلكناه. لا يظهر هناك ثمناً موضوع عليه، و سألنا بعضنا البعض، "كم يكون ثمنه يا ترى؟"

بحث الرجل الفقير في جيبه. و اخرج خمسة قروش. وقال فجأة، "هذه هي كل ما عندي". يفحص الرجل التالي في محفظته. وقال "خمسة جنيهات هي كل ما املك". اما أنا ففكرت قليلاً ثم قلت، "اذا بعت كل ما هو لي، ربما تساوي خمسة آلاف جنيهاً". قال الانسان الغني : قال لي موظف حساباتي هذا الصباح بان لي خمسة مليون جنيه. حتى هو، لا يظهر باسماً، لانه يبدو بان الكنز يثمن باكثر عن ذلك.

في تلك اللحظة، تقدم المالك وسأل ليساعد عما يستطيع ان يقدمه لنا. رغم اننا نعلم بان ليس لنا ما يكفي من الثمن كان علينا ان نسأل، "بكم هذا الكنز؟ ما هو الثمن؟" يبتسم المالك و يقول، لا يمكنكم ان تأتوا بثمنه – و لكن ذلك حسن. فقد دفع ابني الثمن. كل ما عليكم ان تفعلوه هو ان تقبلوه. ولكن، احذركم، قبوله سيكلفكم.

حل الأمل بقلوبنا. ربما يمكن ان يكون الكنز لنا. ورغم ذلك ظل في قلوبنا، السؤال: "كم سيكلفنا؟"

التفت المالك الى الرجل الفقير و قال، "كم لديك؟" "خمسة قروش" يجيب الرجل. "ذاك ما سيكلفك" يقول صاحب الكنز.

و التفت الى الرجل التالي. "كم لديك من الثمن؟" "خمسة جنهات". "هذا ما سيكلفك".

ينظر اليّ ويقول، "كم لديك؟" فجرعت وقلت "اظن بامكاني ان آتي بخمسة الاف جنيه اذا ما بعت كل ما املك". فاشار وهو يقول "هذا ما سيكلفك".

و اخيراً التفت الى الرجل الغني "كم هو لك من النقود؟" "خمسة مليون جنيه". "هذا ما سيكلفك".

ماذا يكون اكثر عدلاً عن ذلك؟ اذا كان لك خمسة قروش او خمسة مليون جنيهاً، فالقيمة مساوياً: كل ما هو لك. فالله لم يطلب قط اكثر مما نملكه، و لكن يطلب كل ما نملكه.

من الواضح، يظن الكثيرون في هذا العالم بان الثمن متجاوز الحد. "لا يمكننا ان نقدم ذلك النوع من التضحية!" يصيحون: "لنا اشياء نريد ان نحتفظ بها. لا يمكن ان نعطي الله كل ما لنا!" اذا كان هذا قرارك، فليكن، ولكن فكر في هذا بحرص: إن لم ترغب أن تقدم هذه التضحية، فانك قد فقدت الفرصة لتعلم ماهي حقيقة الحياة كلها. انك تخليت عن الامل لتملك سرور داخلي عميق وراحة البال. بهذا تكون قد ادرت ظهرك للحياة الحقيقية بلا حدود والتي هي افضل من كل شيء يمكن لهذا العالم ان يقدمه لك.

تتضمن الآية ٤٤ عبارة لا اريد ان اجهلها: "ايضاً يشبه ملكوت السموات كنزاً مخفي في الحقل، وجده انسان فأخفاه و من فرحه مضى وباع كل ما كان له و اشترى ذلك الحقل. من فرحه." هل تعتقد بان ذلك الرجل قال، "يا لها من تضحية! ان ابيع حماري و غنمي و قلادة زوجتي المبهجة المنظر لكي املك الكنز. هذا فوق الحد"؟ لا بكل تأكيد! اتصور انه كان يبتسم ابتسامة عريضة تملأ وجهه و كان يغني في طريقه ليبيع ممتلكاته القليلة. لأنه، يحصل على اكثر بكثير مما كان يعطيه! لكي نعطي كل ما هو لنا لنملك الكنز، علينا ان ندرك يقيناً غلاء الكنز. حينما نقدر قيمته حقاً، سنفهم بان ليس هناك تضحيات لا يمكننا ان نقدمها. اي

شيء و كل شيء لا يقدر بقيمة إذا ما قيست بما سنملكه وما سيقدمه الله لنا. في رسالته الى اهل فيلبي، بعد ان وضع بولس الرسول قائمة الاشياء التي كان يقدرها في الماضي، كتب:

> لكن ما كان لي ربحاً، فهذا قد حسبته من اجل المسيح خسارة. بل، اني احسب كل شيء ايضاً خسارة من اجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي، الذي من اجله خسرت كل الأشياء و انا احسبها نفاية لكي اربح المسيح (فيلبي ٣: ٧ و٨؛).

الخلاصة

عندما نظرت إلى عنوان هذا الدرس في اول الامر، ربما ظننت بان الدرس سيكون عن مثل الشاب الغني، لان في تلك القصة تظهر كلمات متشابهة لهذه. اتى الشاب الى يسوع و سأل عن ما يفعله لكي يرث الحياة الابدية. قال له يسوع: "إن أردت ان تكون كاملاً فأذهب و بع أملاكك و أعط الفقراء، فيكون لك كنز في السماء، و تعال و اتبعني" (متى ١٩: ٢١). بعبارة اخرى، "تخلي عن كل النفايات، لكي يكون لك الكنز". و لسؤ الحظ، مضى الشاب الغني متمسكاً بالنفايات التي له – هكذا مضى حزيناً.

لم يضع الكنز ابداً على طاولة المساومة. لم يكن نصف الثمن ابداً. التكلفة دائماً تساوي: كل ما هو لك. اذا رغبت ان تسلم كل امرك و كل ما لك للرب، فالكنز – هو البركات التي يمكن ان تملكها.

كل ما كان لهم

التاجر، يسوع المسيح، باع كل ما كان له لكي يحصل على اللؤلؤ، ونجح (متى ١٣: ٤٦).

الابن الأصغر، الخاطي استهلك كل ما كان له ليحصل على سعادة، و لكنه أصيب بالفشل (لوقا ١٥: ١٣ و١٤).

المرأة المريضة {نازفة الدم}، نفقت كل ما كان لها لتحصل على صحة، ولكن فشلت (متى ٥: ٢٦).

الارملة الفقيرة، اسلمت كل ما كان لها للرب، و حصل على مدحه (مرقس ١٢: ٤٣ و٤٤).

ارشبالد نايسميث

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧